وقفة مع خمس مجموعات قصصية

أحاديث شائقة وحوارات عميقة في قصص حياة السوريين كما يراها الكاتب الصحفي حسن م. يوسف

| سارة سلامة

بعنوان خمس مجموعات قصصية خط الكاتب المبدع حسن م. يوسف كتابه الذي صدر أخيراً عن الهيئة العامة السورية للكتاب، ويمثل من خلاله تجربة نوعية في القصة القصيرة، بما يشتمل عليه من موضوعات تنشغل بالإنسان ومعاناته وشجونه ومكابداته وخيباته وأحلامه أيضاً، وبما توظفه من تقنيات فنية عالية في السرد القصصي، تحقق التشويق والمتعة والمعرفة العميقة بالحياة ودواخل النفس البشرية ونوازعها ودوافعها، مصورة حياة البسطاء في الأرياف والمدن السورية عبر صراعهم بين ما يحلمون به وما تفرضه عليهم شروط حياتهم القاسية، منتصرة في النهاية لقيم الحب والعدل والجمال، وفي ذلك كله تكمن أهميتها الاستثنائية.

وجاءت مجموعته القصصية تحت عناوين متعددة وهي: «العريف غضبان، وقيامة عبد القهار عبد السميع، والآنسة صبحا، وأب مستعار، والساخر يخرس».

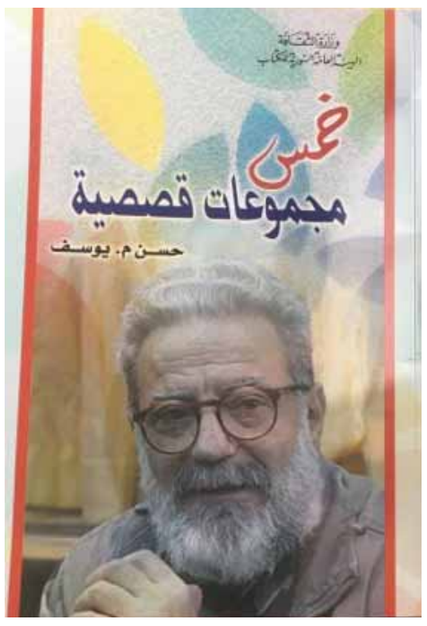

> تشكل المجموعة مرجعاً لدراسة القصة في سورية وأجيالها

الاستفتاح

وحسب يوسف فإن هذه القصص منشورة حسب تسلسلها الزمني، حيث يقول في الاستفتاح: «يومها كنت طالباً في مدينة جبلة الساحلية، كنت في كل صباح أروح إلى الكراج أنتظر زوادتي ومصروفي اليومي ورسائل إخوتي.

وذات صباح كانوني عاصف كنت في طريقي إلى الكراج وعندما وصلت أمام دار البلدية ناداني رجل من قريتنا- لن أذكر اسمه لأنه لا يزال حياً حتى كتابة هذه الكلمات- سحبني تحت المطر إلى مدخل بناء خال، سلم علي بود وجفف يديه ببطانة معطفه ومسح شاربيه الشائبين المبللين بكمه وقال لي وهو يرتجف:

«اسمع يا ابن أخي، كرمى لروح أمواتك لا تضحك عليّ».

قلت له مطمئناً:

«ولو يا خال (..) من يضحك عليك يعدم شبابه! خير إن شاء الله؟»

أخرج من جيب معطفه الداخلي نصف ظرف على زاويته ترويسة باللون الأحمر، خمنت محتواه فوراً، سألته بعد أن يئست من أين أبدأ الكلام:

-«ما قصة هذه الصور يا خال؟»

-قال لي متلعثماً:

- «أتعرف ابني (..)؟ سيتقدم للشهادة المتوسطة هذه السنة، جئت لحضور محكمة ضبط الأحراج الذي كتبه المأمور بـ«خزنة» في العام الفائت، الله يخرب بيته، فأعطاني ابني الوصل حتى آخذ له صوره..

شف لي بالله عليك يا ابن أخي، هل هذا ابني؟».

كانت الصور لرجل مربوع أصلع جاوز الثلاثين ذي شاربين كثيفين وعينين كبيرتين وفم كبير فلم أستطع كتم ضحكتي:

-«ما هذا يا خال؟! وحق الرب لا يساوي ابنك فخذ هذا الرجل؟! كيف أخذتها؟!»

-قال لي وقد احمر من الخجل:

-«وخزني قلبي والله. أي والله وخزني قلبي».

دخلت وحدي فقد خمنت ما حدث. كنت أعرف صاحب الاستديو فرحب بي لكنه ما أن رأى الصور بيدي حتى خرج عن أطواره وأخذ يصرخ:

-»شيء يجنّ! واحد لا يعرف صورة ابنه! نزع صباحي! دوخني! نبشت له كل الصور! العمى! لن أرجعها! خله يطق ويبلط البحر!»

كان منكمشاً قرب الباب، سحبته من يده ومضينا.

وقبل أن نفترق سألته:

-«هل هذه صورة ابنك؟»

فنظر إليّ بغموض وخجل وقال:

-«تشبهه، أي نعم تشبهه».

فإلى الرجل الذي لم يعرف صورة ابنه في تلك الصباحية العاصفة.

إلى الأحبة المقهورين، الأمين المسحوقين، يدي وقصصي.

إعادة توضع

وفي المجموعة الثانية «قيامة عبد القهار عبد السميع» وتحت عنوان (إعادة توضع) ذكر يوسف ومن خلال عنوان فرعي باسم «إعادة توضع» قائلاً: «رائحة الشراشف النظيفة التي أحضرتها من البيت والحمام الساخن الذي أخذته قبل النوم أضفيا على ليلتي نكهة منزلية، فرأيت قبل الفجر حلماً لم أر مثله منذ أن فرزت، (نمشي في سهل فسيح يغطيه عشب طري مبلل، ردفانا يتناقران على إيقاع خطانا وأوراق العشب ترشق أقدامنا بحبيبات الندى، يدي على نقرتها الدافئة- يا لنعومة الزغب!- ذراعها يلفني ضاغطاً، جانب صدرها على جانب صدري، أخذت شفتها السفلى ثم العليا.. وعندما أردت التعمق بين شفتيها المالحتين، طلع علينا من خلف شجرة تصل الأرض بالسماء، رجل يرتدي خوذة ذهبية ويحمل جفت صيد..)

النكهة المنزلية جعلت مزاجي خفيفاً كما في صباحات السنة الأولى من الجامعة فلم أشعر بانضغاط قضبان السرير على أضلاعي إلا عندما اندفع زميلي إلى البراكية هاتفاً:

«يخرب بيتك. بعدك نايم والدنيا مقلوبة!»

اقتحمني المكان قبل أن أفتح عيني، أدخلت نفسي في الكنزة والسترة بسرعة- تعودت مؤخراً أن أخلعهما وألبسهما معاً مثل أغلبية الشباب- قلت وقد عاد مزاجي إلى حالته الكثيفة:

«شو فيه؟»

«بدأ الاجتماع والمعلم يسأل عنك».

أدخلت قدمي في البوط شاداً لسانه فانغلق عليها بفضل رباط المطاط الذي نصحني به أحد المساعدين، قلت وأنا أضع البيريه فوق رأسي بخفة:

«استنفار؟»

هز سليم كتفيه وطرفت عيناه بقلق، لم نركض، فذلك لا يليق برتبتنا، إلا أن التوتر جعل مشينا ركضاً.

السهّيرة

وفي مجموعة الآنسة صبحا كان عنواناً آخر باسم «السهيرة الذي قال فيه: «انشق الباب عن عارف بن حبابة فتبعته فتائل الثلج المدوّمة إلى الداخل، فتل في مكانه ليتمكن من إغلاق الباب، ثم أخذ ينفض الثلج عن معطفه السميك ذي الأزرار النحاسية الذي استبقاه لنفسه من أيام الخدمة العسكرية. نقز حميدان شحود، قال:

«يقطعك الله، دق الباب! قطعت قلوبنا، فايت طحش متل الضبع! أجابه عارف وهو يرتجف موحوماً:

«أحووح.. شببوا النار.. شببوها الله لا يحرمكم منها لا دنيا ولا آخرة! دخيلك يا رب لا تأخذنا بقلة عقولنا! أما تلجة مهولة.. تلجة عظيمة تحاكي فورة التنور».

ضحك الرجل من هيئة عارف. فقد كانت فتائل الثلج عالقة بحاجبيه وشاربيه، أما سيجارة اللف المتدلية من زاوية فمه اليسرى فقد حافظت على قوامها بسبب البلل رغم احتراق معظم التبغ الذي في داخلها.

الساخر يخرس

وبعنوان «الساخر يخرس» قال يوسف: «في كل مرة يدخل فيها إلى مكتبي، تنتابني رغبة عارمة لأن أهشم رأسه بأي شيء تطوله يدي» يقول رئيس التحرير بانفعال (.. لكنه ما إن يقف أمامي لاوياً عنقه، وهو يصغي بإخلاص، معترفاً بذنبه، من دون مداورة وفي عينيه تلك اللحظة الخالية من العكر، حتى ينكمش شعوري بالغيظ فأكتفي بتوبيخه مظهراً له سوء ما فعل، وعندما يكتشف الإحراج الذي سببه لي وللعمل، يصفر ضارباً جبينه براحته، مبدياً أسفه بإخلاص، فيتبدد شعوري بالغضب، وتتقلب نقمتي العارمة عليه، إلى شعور مفاجئ بالتعاطف معه، وهكذا أصرفه بلطف وأنظر إليه وهو يخرج كما لو أنه طفل نطق لتوه بكلمته الأولى.

صحيح أنه يخلق حالة من الارتباك في أي مكان يحل فيه فهو مزيج من المغفل والعبقري، لكنني كلما قررت أن أطرده أتراجع عن ذلك في اللحظة الأخيرة.

وفي كل مرة ازداد قناعة أننا بحاجة لوجود شخص مثله بيننا».

يخيم صمت عميق بين رئيس التحرير حسين، وأمين تحريره عوني الواقف أمام مكتبه، يرمق الأول الثاني بنظرة متفحصة قل لي الأستاذ عوني ماذا فعل هبّول؟

الساخر يخرس هذه المرة؟» يتساءل رئيس التحرير، مستخدماً اسم الاستهزاء السرّي الذي أطلقه هو نفسه على سميح».

هذه ليست قراءة في قصص حسن م يوسف، وهو من هو في القص وريادته في سورية، والأمر يحتاج إلى دراسات مطولة، ولكنها وقفة للإشارة بهذا المنجز الثقافي القصصي الذي أخذ عقوداً من الزمن والتريث والتجويد لرائد قصصي مهموم بالحياة والإنسان. وقد جاء الوقت الذي يضع الكاتب نتاجه القصصي بين أيدي القارئين والدارسين بعد أن نفدت الطبعات السابقة من مجموعاته ما عدا (الساخر يخرس) المطبوعة في اتحاد الكتاب العرب منذ فترة بسيطة. إن ما قدمه القاص المبدع حسن م يوسف يستحق الوقوف عنده ودراسته، وهو يشكل إرثاً ممتداً، وجسراً قصصياً بين أجيال الرواد والشباب، ينقل إليهم تجاربه في الحياة والثقافة ويحافظ على سعيد حورانية وقصصه الرائدة، لينقل ذلك إلى جيل تعطش للريادة.

وتشكل قصص حسن م يوسف معلماً قصصياً يملك القدرة والكفاءة على إنارة درب الإبداع السوري بجميع أجياله وصنوفه وتجلياته، فشكراً لجهد الأستاذ المبدع في ضمّ أعماله القصصية، وشكراً لتكريم وزارة الثقافة بجمع هذا التراث القصصي الذي سيرفد بالكثير من عطاءات المبدع التي لا تتوقف.

الشعر لا يحنط في قوالب نظرية جامدة!

| صبحي سعيد قضيماتي

نشر الصديق الأديب راتب الحلاق في هذه الآراء عن الشعر على صفحات التواصل: «يحاسب الشاعر في مملكة الشعر، وليس في محكمة الأخلاق، أو السياسة... لنا شعره، وله (وعليه) سلوكه».. فما مقومات وأسس مملكة الشعر؟ ولأن صفحات التواصل، أصبحت مصدراً من مصادر (الثقافة والحوار)، وامتلأت بآراء وأفكار، تحتاج إلى حوار عميق، لوضع النقاط على حروف بعض الآراء التي تتناول الشعر، أو الإبداع بصورة عامة. وأود هنا أن أحاور وأناقش ما كتبه صديقي راتب الحلاق الذي أراه صاحب آراء راقية، وليس هدفي أن أشاكسه أو أجادله لأدحض آراءه، أو أخطئه.. بل لكي نغني موضوع الشعر بعض الشيء، لأن مثل هذه المواضيع، أوسع من أن يستوعبها كتاب أو أكثر..

أولاً يجب أن نأخذ بعين الاعتبار، أن الشعر لا يمكن حصره في نظرية واحدة، تقبع في مفاهيم أحدنا.. فالشعر أوسع من أن يحنط، أو يكون سكة حديد جامدة، تسير عليها الحركة الشعرية كلها، من ألفها إلى يائها، باتجاهاتها العديدة المختلفة، أو المتناقضة في العديد من الخطوط، أو مرتكزاتها النظرية... وأعتقد أن الشعر ينطلق من قول المتنبي: (تأخذ الآذان منه على قدر القريحة والعلوم).. ولا يمكن أن تكون قرائح عشاق الشعر كلها سواسية كأسنان المشط... ولا ننسى قول المتنبي في أي حديث عن الشعر:

إن بعضاً من القريض هـذاء/// ليس شيئاً، وبعضه أحكام...

وبماذا نفسر عبارة (هذاء ليس شيئاً،) وبعضه أحكام..؟ فالأحكام هي القيم الراقية التي يطرحها الشاعر... وهو أهلٌ لطرح مثل هذه القيم.. ولا يأتي القول إلا من أصحاب خبرة ـ ذوي مضامين راقية...

وفي كثير من الأحيان، تلعب القيمة الفكرية دوراً كبيراً، تجعلنا ننسى القيم الجمالية التي يراها بعضنا أنها تحدد القيم الشعرية.. فأين القيم الجمالية في مثل هذا البيت: (ومن يكُ ذا فم مر مريض /// يجد مراً به الماء الزلالا). هل القيمة في هذا البيت في المضمون البليغ، أم في الشكل البليغ جمالياً؟ فالبيت يصور حالة مرضية تصويراً واقعياً، يكاد يكون فوتوغرافياً.. وأحياناً في التصوير الفوتوغرافي بلاغة راقية. أليس شعراً أن نقرأ لمحمد الماغوط: (لقد عجزت أن أعلم عربياً واحداً أن يصعد إلى الباص من الأمام، وينزل من الخلف، فكيف أعلمه الثورة؟) أليس هذا شعراً؟... أنا أرى قمم الشعر في هذه الأسطر، ولو لم يشاركني به كل عشاق الشعر، أو المهتمين به.

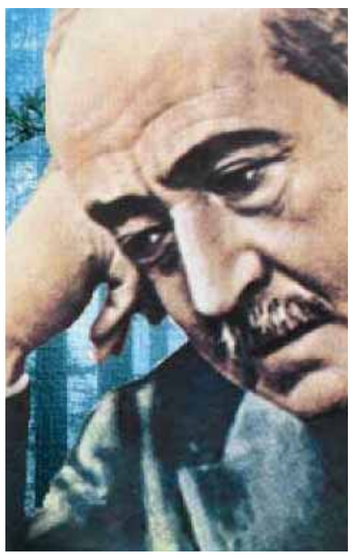

كيف أفهم هذا القول عن الشعر: «يحاسب الناقد النص فنياً وليس أخلاقياً أو أيديولوجياً ويترك للجهات الأخرى محاسبته على سلوكه وأقواله، والناقد ليس شرطياً ولا رجل دين». هل يمكن أن أفصل الشكل عن المضمون، ليس فقط في مجال الشعر، بل في أي مجال من المجالات، حتى مجال الطعام؟ فالشكل مطلوب، ولكن ما الفائدة من الطعام، مهما كان مغرياً، إذا لم يكن له قيمة غذائية تفيد الصحة؟.. وما الفائدة من جمال المرأة، مهما كان ساحراً، وجذاباً، إذا كانت فقيرة المضامين..؟ ولسنا هنا في صدد محاسبة الناس، لكننا معنيون بسلوكهم، لأن سلوكهم جزء مهم من واقعنا الاجتماعي والأخلاقي.. فشكلهم لا يهمني بقدر ما يهمني سلوكهم الأخلاقي..

من قال إن: «الناقد يحتكم إلى قوانين الجمال، وإلى مدى تمكن الفنان منها، وكثيرا ما أعجب الناقد بنتاجات فنية هو ضد محتواها، وكثيراً ما صنف أعمالاً في غاية الرداءة الفنية مع أنها تنتمي إلى الفكر الذي ينتمي هو إليه». هذه أقوال وآراء تحتاج إلى براهين وأمثلة واضحة. (أكيد أن للفن مقاييسه ومعاييره، وللأخلاق معاييرها وقيمها) لكن هذه المقاييس هي الحامل للمضامين.. ولا يمكن أن تؤكد أهميتها إن لم تبرهن على تكاملها مع مضامين راقية.. ولا يمكن أن يكون أي نص في قمة الإبداع الفني، وفي أحط المستويات الأخلاقية في آن واحد، ولا يمكن أن يكون العكس صحيحاً أيضاً. فهذا الكلام يحتاج إلى براهين أيضا، قد نختلف حول أهميتها ومدى صحتها. ولا يمكن أن ترقى المضامين والقيم، ما لم يتكامل الشكل والمضمون، إذاً لا يمكن أن ترتقي القيم، إلا بأساليب فنية متميزة.. ويبقى المضمون هو الأساس. فهل استطاع الشاعر أن يحمّل القيم التي آمن بها، بأساليب فنية متميزة، أم إنه قصّر في إعطاء قيمه ما تستحقه من الأساليب الفنية القادرة على وضع هذه القيم في مكانها المرموق؟.. هنا تكمن أهمية النقد.. ولست من المؤمنين بمحكمة الشعر الفنية، لأن الأساليب الفنية هي خادم المضامين.. فإن عجزت هذه الأساليب الفنية عن إعطاء المضامين حقها، فهذا عجز من الشاعر، وقد لا نسميه شاعراً، بل نسميه شويعراً أو شعروراً متواضعاً، لم تنضج تجربته، أو لم يرتق بتجربته الفنية.. وأهمية وقيم الفن الراقي تكمن في قدرة المبدع على إعطاء القيم التي آمن بها، ما تستحقه من الأساليب الفنية، لتكون تلك القيم، قادرة على القيام بدورها على أحسن وجه. ونؤكد أن الفن في كل حقول، لا يمكن أن يكون شكلا.. فالفن يحمل رسالة (ونختلف حول أهمية هذه الرسالة، من عمل إلى آخر) فالشاعر حكيم فنان، وإن اختلفت مراتب الفن من شاعر إلى آخر. وتختلف وتتنوع الرسائل لدى الشاعر.. فهي فكرية أو أخلاقية.. فماذا نقول عن هذا البيت لأحمد شوقي: (شعوبك في غرب البلاد وشرقها //// كأصحاب كهف في عميق سبات) وهذا البيت بسيط جداً.. ليس فيه تلك الأساليب الفنية المتميزة.. لكنه يحمل قيماً فكرية وتاريخية تفي لأن تؤكد الفكرة دورها على أحسن وجه.. لأن الفكرة تحمل هدفاً تاريخياً وأخلاقياً واجتماعياً وسياسياً.. ونختلف أحياناً على القيم التي يطرحها هذا الشاعر أو ذاك.. فأنا لا أتفق مع أحمد شوقي في ما قال: (وعلمنا بناء المجد حتى أخذنا إمرة الأرض اغتصابا) ولم أستسغ الجمع بين (بناء المجد، مع إمرة الأرض اغتصابا) وأفضل أن نقول(انتجابا) بدل (اغتصابا). فالاغتصاب كلمة لا تدل على معنى سام.. والانتجاب هو الاصطفاء.. لكن هل هذه الكلمة تنقص من قيمة وأهمية قصيدة أحمد شوقي.؟ وفي الفن لا يوجد سوء فهم، بل هناك قرائح تقرأ، وكلٌ يفهم حسب قريحته. والشعر لا يفصل الشكل عن مضمونه، والنقد الفني للشعر يسلط الضوء على قدرة الشاعر وبراعته في إيصال رسالته، انطلاقاً من قدراته اللغوية والفنية التي تحمل مضمون رسالته. والمضامين النبيلة، تعطي طاقة فنية لا يستهان بها للرسالة التي يحاول الشاعر إيصالها لقارئه..

والشاعر الحقيقي يستطيع أن يوصل رسالته إلى قارئه بأرقى الأساليب الفنية وأكثرها إبداعاً وجدة.. لذا حاز لقب شاعر بجدارته، بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى! والمضمون ومهما كانت الآنية جميلة، يبقَ الهدف جودة الطعام، والفائدة التي يحملها إلى الجسم..

الشعر نداء المتمرد وغير المدجن في الذات، نداء ما لا يقبل الترويض أو الاحتواء، نداء الحرية والمبادرة، إنه قراءة فذة في أغوار النفس البشرية في نزوعها إلى عالم من الفتنة والغواية والغبطة واللذة.... عالم متناقض مع قيم المدينة الفاضلة، لأنه، ببساطة شديدة، ينطلق من قيمه الخاصة، وهي قيم فاضلة هي الأخرى، وإن بدت، في لحظة من اللحظات، أنها رجيمة وشاذة. قيم الشعر تثور على العادي والنمطي والمألوف لمصلحة المدهش والطريف والغريب، وتحاول أن تنتقل من الراكد والمستقر إلى الجديد والمختلف، الذي قد يبدو للبعض أنه فوضى عارمة، وما هو بفوضى، ولكنه رؤية جديدة تعيد ترتيب الوجود ليصبح أكثر جمالاً وعدلاً، وأقل قبحاً وظلماً.

مسرح ربيع الطفل و«الزائر الغريب»

| الحسكة - دحام السلطان

العمل المسرحي «الزائر الغريب» الذي تناولته فرقة المسرح القومي في الحسكة ضمن أعمال مهرجان مسرح ربيع الطفل المنفّذ على مستوى مسارح وزارة الثقافة في القطر، سبق أن تم عرضه ضمن فعاليات مهرجان الحسكة الثقافي الأخير الذي أقيم احتفاءً بيوم وزارة الثقافة العام الماضي، وها هو يعود اليوم من جديد ليفترش خشبة مسرح الثقافة بمدينة الحسكة على مدار أيام العطلة الانتصافية المدرسية.

والعمل ومن دون مقدّمات كان قريباً وملامساً وشفافاً من الواقع الحياتي الراهن اليوم، حيث حمل في مضمونه مجموعة مفردات وعبارات ضمن سطور واضحة ومفهومة شكّلت بمجاميعها رسالة بليغة لما يجري اليوم من حولنا على امتداد ساحة الوطن، وهو يأتي في سياق ما اعتدنا على ما يقدّمه المسرح القومي بالمحافظة من قضايا تكاد تكون من أولى الأولويات التي يتوق إليها جمهور المسرح والفكر والثقافة والأدب في محافظة الحسكة، للتعايش مع ما يجري من حولنا بمفهوم المثقف من منغصات معقّدة على مدار سبع السنوات من عمر الأزمة التي لا تزال تعصف بالبلاد.

العمل بحرفيته الذي استندت أدواته إلى حرفية الإبداع شكّلت بمجملها شخصية احترافية مركّبة وبسيطة في آن معاً لمحاكاة الأطفال أولاً واليافعين ثانياً وفي النهاية الأسرة بمجملها، حيث لامست ومن دون تكلّف ضرورة تأمين الحيطة والحذر ومن ثم الاحتراز من سهام الغدر والخداع والتآمر التي أدخلها إلينا الأجنبي بلبوس جديد مختلف الألوان، ودورنا جميعاً في التعامل باتجاه كل تلك المضادات الغريبة التي دخلت إلينا من النافذة والحتمية التي تتطلب منا إخراجها من الباب ذليلة خائبة ومنكسرة منهزمة في النهاية.

وأكد معاون مدير ثقافة الحسكة عبد الرحمن السيد أن هذه التظاهرة الفنية تُسجّل لمديرية المسارح والموسيقا بوزارة الثقافة، وبالنسبة لعرض الحسكة الذي حمل في طياته رسالة تربوية توعوية ذات مضامين وطنية صرفة، تتكلم عن ضرورة الانتباه من فتن الغريب الذي يريد زرعه سمومه وأوهامه بين الإخوة وبين أبناء الوطن الواحد، لافتاً: إلى أن العرض هو من تمثيل الكبار وهو موجّه نحو الأطفال واليافعين في آن معاً.

وبيّن السيّد: أن الحركة المسرحية في الحسكة لم تتوقف في مراكز المحافظة الثقافية، وكان للأطفال منها حصة في نشاطنا الثقافي، ولاسيما الأعمال المسرحية ومنها ما قدمه مهرجان ربيع الطفل المقام في جميع المحافظات.

وبيّن مخرج العمل الكاتب والمسرحي إسماعيل خلف مدير المسرح القومي في الحسكة أن عمل «الزائر الغريب» يندرج تحت إطار مسرح الأسرة، وأن فكرة العرض موجّهة للكبار والصغار على حد سواء، لذلك أردنا من خلال فكرة العمل وإن كانت مكتوبة ضمن إطار مبسّط وبلغة بسيطة جداً أن تكون على مستوى المتلقي وهو الطفل في المسرحية، فمن حيث المعالجة التقنية حاولنا قدر الإمكان أن تكون أسلوبية العرض تناسب الكبار والصغار في آن معاً، واعتمدنا أيضاً وبشكل كبير على الغناء في المسرحية وعلى الحالة المشهدية البصرية قدر الإمكان، مع الإشارة إلى أن العرض بمجمله يندرج ضمن إطار العروض الموجّهة للأطفال وضمن سلسلة الأعمال الطويلة التي قدمها المسرح القومي في الحسكة خلال السنوات الفائتة، علماً أن التوجّه نحو مسرح الطفل يعتبر في غاية الأهمية، لأنه يكرّس حالات المسرح وجمهور المسرح والطقس المسرحي وهذا أولاً، وثانياً هو بشكل أو بآخر يعيد حالة البسمة لأولئك الأطفال من خلال الكوميديا والأغاني الراقصة، وثالثاً والأهم مجرد دخول وارتياد الطفل إلى المسرح فإنه بشكل أو بآخر، يعتبر مكسباً لمتفرّج صغير ومتفرّج كبير والأسرة بمجملها، وهو بالنهاية رسالة لحضور أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع.

وقال الفنان باسل حريب الذي لعب دور شخصية الزائر الغريب في العمل إن الشخصية تمثّل إسقاطاً شبه واقعي لما يحدث في سورية، وبطريقة محببة للأطفال وبأسلوب غنائي راقص وضاحك، فالزائر الغريب الذي جسد رواسب ومفرزات كل من دخل إلى البلاد وعبث بها وبنفوس أبنائها، حاول من خلال الشخصيتين اللتين شاركتاه العمل، أن يوقع بينها قبل أن يكتشف أن المحبة والتآخي والإيمان بهما أقوى من أساليبه القذرة في التخريب والقدرة على العبث بأمن الوطن والمواطن، ومن ثم اكتشاف أمره وأساليب مؤامرته الدنيئة على البلد.

على حين أشار أسعد الذي لعب دوره الفنان عبد الله الزاهد، إلى أن فكرة العمل بسيطة جداً ويمكن أن نستنتج منها عنواناً عريضاً يدعو إلى منع كل غريب يحمل الدمار والخراب من الدخول إلى أرض الوطن، وهذا المنع له بواعث ودواع لها مدلول المحبة والتآخي والصفاء والنقاء بين أبناء البلد الواحد.

بينما أكد سعيد الذي لعب شخصيته الفنان عبد العزيز أملح، أن الشخصية التي لعبها ذات مدلول إيجابي في العمل، وكانت تحمل ذات المحبة والإخاء والصدق والإخلاص التي امتازت بها شخصية أسعد، وكانت الثقة والاتفاق هما الشيء المتبادل فيما بينهما قبل دخول الزائر الغريب، المجهول بالنسبة لهما والذي أراد بطبعه وممارساته أن يُحدث الشقاق والنزاع فيما بينهما وإثارة الفتن، قبل أن تصطدم تلك المفرزات بدواعث الحب والمصداقية التي كرّستها القيم الاجتماعية الواحدة بين أبناء الوطن الواحد.

وأوضح كاتب العمل الدكتور أحمد الدريس، أن النص المسرحي موجّه قبل كل شيء للأطفال ولليافعين، ومن ثم إلى الكبار ليشكل بمجمله رمزية عميقة ودرساً بليغاً لدى الأسرة مجتمعة، ومن هنا يمكن القول: إن النص لامس الواقع الراهن من خلال ما يحدث على ساحة الوطن من اختراق، مبيناً ضرورة مواجهة هذا الاختراق معرفياً من خلال الثقافة والفكر والموعظة غير المباشرة، مضيفاً: إنه من خلال هذا النص نجد أن «البستان» الذي كان محور العمل المسرحي هو المعادل للوطن وهو إرث الآباء والأجداد وعلى الأجيال أن تحافظ على هذا الإرث، ومن خلال العرض شاهدنا كيف كان الأصدقاء متشبثين بهذا البستان ومحافظين عليه، إلى حين دخول الغريب الذي أراد أن يضع يده على البستان ويستولي عليه بالاحتيال وإيغار الصدور وخلق العداوات بين الأصدقاء الذين هم الورثة الحقيقيون التاريخيون لهذا البستان، ومن هنا يأتي الصراع بين أصحاب الأرض أهل الوطن وبين الغريب الذي يريد أن يخرّب ويدمر كل القيم النبيلة من أجل أن يستحوذ على هذا الوطن الذي ينتصر أهله في النهاية، قبل أن نوصل الرسالة إلى أبنائنا لنقول لهم انتبهوا، لتكن عيونكم وأذهانكم مفتوحة ولا تتركوا المجال للغريب، لأن يندس بيننا ويخرّب لحمتنا الوطنية ويستولي على أوطاننا التي هي إرث الآباء والأجداد.